

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للأزمات الاقتصادية نماذج تطبيقية

Management of Economic crises by Prophet Muhammad, Peace be upon him Applied Models

الدكتور أحمد سليمان عوض الرقب

Ahmad Sulaiman Awad Al_raqib

أستاذ مشارك

جامعة العلوم التطبيقية الخاصة

imad@paluniv.edu.ps

المخلص

تعرض المسلمون منذ بداية دعوتهم إلى حصار على مختلف المستويات ، كان من أشده الحصار الاقتصادي، الذي تجاوز حدود الإنسانية الحقّة؛ لكن الرسول - صلى الله عليه وسلم- بفضل من الله ونعمه، تجاوز بأصحابه هذه الأزمة الشديدة في مكة والمدينة، باتخاذ - صلى الله عليه وسلم- جملة من الإجراءات الحكيمة بدأت من الإنسان نفسه بأن يتجمل بالصبر والجلد والعصامية والاعتماد على الذات، وانتهت بسنّ منظومة من التشريعات وترسيخها تحفيزاً للعمل والسبق والإبداع والاستثمار والإنتاج، ووصولاً إلى الاستقلال الاقتصادي والاكتماء الذاتي.

وتأخذ هذه الدراسة بعين الاعتبار المستوى الاقتصادي المرموق الذي وصل إليه المسلمون غاية الأمر في القدرة على تجاوز الأزمة الاقتصادية بالرغم من الأخطار الحقيقية، وأبرزها: حالة النزوح الجماعي القسري المتكرر (هجرتان إلى الحبشة، الهجرة إلى المدينة)، وكثرة الحروب والأزمات الداخلية والخارجية؛ فالعلاقة بين الأمن والاقتصاد لا تخفى، بالإضافة إلى السبق الاقتصادي الخطير لليهود في المدينة.

والعجب أن المسلمين بقيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم- حققوا نتائج باهرة، بالرغم من كل الأزمات المحيطة، وهذا من شأنه أن يحفز الباحث لاستخلاص المنهجية النبوية الحكيمة في إدارة الأزمة واستنباطها، ومن ثم تقديمها على شكل تطبيقات معاصرة في ظل ما تعانيه البشرية اليوم من أزمات اقتصادية خانقة.

والبحث من خلال تتبعه واستقرائه وتحليله للعديد من النماذج النبوية، من المتوقع أن يقدم للباحثين والمهتمين جملة من الحلول الناجعة والمقدمات المهمة في فن إدارة الأزمة، بعون الله وتوفيقه، وذلك من خلال العناوين العديدة: أهلية القائد واستعداده الذاتي، وإيجاد البيئة الإيجابية التي من شأنها الاحتفاظ بالأفراد، وتنمية معاني الولاء والانتماء، والتكيف الإيجابي لديهم؛ مما ينتج عنه إثبات أن بروز العنصر البشري يكمن نجاحه في حسن الإدارة، وبالذات في الظروف الصعبة والظروف الطارئة.

الكلمات المفتاحية: إدارة، والأزمة الاقتصادية.

Abstract

Since the advent of Islam, Muslims have suffered sanctions of different forms, including economic sanctions that constituted a straightforward violation of all humanist values. However, Prophet Mohammad (Peace be upon him) managed to overcome the hard economic dilemma in Mecca and Medina by taking a number of wise steps. He began by urging people to be patient, self-reliant, and resolved. Then he would introduce legislation that help to promote actions, initiatives, creative thinking, investment and productivity. This lead to economic independence and self-sufficiency.

The present study looks into this phase when Muslims in the days of Prophet Muhammad (PBUH) managed to achieve a high level of economic productivity. The fact remains that in order to reach this high level of productivity, Muslims led by the Prophet had to overcome many challenges, including: three compulsory collective immigration (two to Ethiopia and one to Medina), frequent wars, internal and external dilemmas, and the Jewish manipulation of the economy in Medina.

Albeit all the grave challenges, Muslims led by the Prophet managed to achieve a remarkable success. This is why the author of this article has considered to draw upon the Prophet's wise economic strategy in time of crisis and utilize many of its aspects to solve economic crises that threaten today's world.

An insightful analysis of the Prophet's experience in the field of economy can help interested scholars to come up with a number of efficient solutions that enable them to overcome economic crisis. The Prophet and Muslims at that time worked on the enhancement of the abilities of decision-makers in the economic domain, nurturing a positive and healthy environment, and fostering groups' sense of allegiance, belonging, and the ability to adapt. The ultimate purpose is to prove that good management is crucial for overcoming unfortunate circumstances and turbulent contingences.

Keywords: Management; Economic Crisis.

المقدمة:

1. إدارة الأزمات الاقتصادية / مواقف من حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - (-شحاته، د. حسين حسن. الأستاذ في كلية التجارة، الأزهر)، وهو كتيب لطيف يقع في حدود عشرين صفحة، لمس من خلاله الكاتب العديد من الأفكار والمواقف التطبيقية للنبي -صلى الله عليه وسلم- في معالجة ما طرأ من أزمات اقتصادية في مكة والمدينة. وغلب على هذه الدراسة الاختصار الشديد، واستخلاص الدروس والعبر المستفادة. ظهرت دراسات أخرى في هذا الشأن في مجال القرآن الكريم، منها إدارة الأزمات في القرآن الكريم حيث عرفت الباحثة بالأزمة، وتناولت أسبابها وسبل الوقاية منها، وذكرت العديد من النماذج القرآنية في مختلف الجوانب الاقتصادية والعسكرية (غيرها) سوسن سالم (2003 م).)
2. إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم، وهذه الدراسة جهد فيها الباحث على توضيح مفهوم الأزمة، وبيان خصائصها، ومراحل تطورها، وأسباب نشوئها، وأنواعها في ضوء القرآن الكريم(البازجي، صبحي رشيد. (2011 م)، الجامعة الإسلامية .)
3. الهدى النبوي في إدارة الأزمات الإجتماعية العامة /دراسة حديثة موضوعية، تناولت الباحثة الهدى النبوي في إدارة الأزمات كالأزمة في المجال العقدي والاقتصادي والعسكري والسياسي

إن ما وصل إليه العالم اليوم من تقدم علمي وتقني مذهل في جميع المجالات، يعني بالضرورة غياب الأزمات وبالذات الاقتصادية منها ، لكن الغريب حقا ، أن الأزمات الاقتصادية تزداد بشكل لافت مما يثير جملة من التساؤلات هنا وهناك ؟!

وإذا نظرنا إلى سيرة الحبيب - صلى الله عليه وسلم- فإننا نجدها مليئةً بالنماذج والشواهد الكفيلة بتقديم منظومة متكاملة لإيجاد الحلول الناجحة والخطوات الحكيمة المدروسة لتجاوز الأزمات مهما كان نوعها؛ وبالذات الأزمات الاقتصادية؛ فالمال عصب الحياة، ومقوم مهم في تقدم الحضارات أو تأخرها.

وهذا البحث، على إيجازه، إشارة إلى الطريق ومحاولة، أحسب أنها جادة في هذا الاتجاه المهم، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الدراسات السابقة

4. هناك دراسات كثيرة أشارت من قريب أو من بعيد إلى ما مرت به الدعوة الإسلامية من أزمات اقتصادية وإجتماعية وسياسية ... وغيرها ، ولكن هل ثمة بحث عُني بتحليل هذه الأزمات الاقتصادية والإفادة منها في الواقع المعاصر ؟

بمقتضى سنن الصراع بين الحق والباطل.
5. إبراز صورة الرسول القدوة - صلى الله عليه وسلم-،
وما تمتع به من مواهب ومهارات في إدارة الأزمات
المختلفة

(والاجتماعي) الجمل، صديقة محمد. الأردنية،
كلية الدراسات العليا كانون الثاني، 2008م.)

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تمهيد: تعريف (الإدارة ، والأزمة ، وإدارة الأزمة ل لغة واصطلاحاً:

يحسن بنا أن نقف عند هذه المفاتيح (الإدارة ، والأزمة
(وإدارة الأزمة)؛ لأن تحرير المصطلح أو المفهوم يحدد
الأهداف والنتائج والمنهجية المنضبطة في طرح الموضوع

نبدأ بالإدارة مع ابن فارس (ابن فارس، أحمد . معجم مقاييس اللغة 2/310) ،
يقول: الدال والواو والراء أصل واحد يدل على إحداق
الشيء بالشيء من حوالبه .

والإدارة: تعني في جذرها اللغوي جعل الشيء يدور ،
وأدار الرحى حركها ، وأدار المحرك العجلة أي جعلها تدور
(نظر إلى الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، 2/327) ، ثم أطلق وصف الإدارة على
تحريك جهد جماعي نحو هدف، وذلك للعلاقة التلازمية
بين التحريك والدوران، وهذا المعنى الرائع في لغة العرب
يشير إلى جملة من الخصائص التي من الممكن استخلاصها
، فاللغة العربية لغة الإشارة. وفيما يأتي :

- الدوران.
- التحريك.

وهذا يعطي الخصائص الآتية :

1. الترتيب.
2. الحركة الدائرية.
3. اتصال هذه الحركة بعضها ببعض.
4. القوة الدافعة والمحركة.

والمعنى الاصطلاحي لن يخرج عن تلكم الخصائص،
فالإدارة في الاصطلاح : استخدام جهد مشترك لتحريكه
نحو تحقيق هدف موحد . ويلحظ من المعنى الاصطلاحي
أن الإدارة جهد جماعي مشترك .

أما الأزمة في لسان العرب فهي : الشدة ، يقال : أزم
العام أي اشتد قحطه (المرجع السابق 5/166) . يقال أصابهم سنة
أزمهم أزمًا، أي استأصلتهم وأزمَ علينا الدهر يأزم أزمًا
(الجمهوري، الصحاح في اللغة . 1/12 ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير
، الرافعي ، أحمد بن محمد بن علي 1/13 ، المكتبة العلمية - بيروت) . والأزمة في الاصطلاح :
تهديد خطير يمكن أن يهدد أهداف الأفراد أو المنظمات
أو الدول، وقيمهم ومعتقداتهم وممتلكاتهم (الكيلاني، عبدالله إدارة
الأزمة ، ص5).

وثمة وصف آخر لمعنى الأزمة بأنها لحظة حرجة لما
قد يترتب عليها من تحولي مصيري في حياة الأفراد أو
المؤسسات أو الدول، غالبًا ما تتزامن مع عنصر المفاجأة؛
مما يتطلب مهارة عالية لإدارتها والتصدي لها (المرجع السابق . ص5)

حاجات الإنسان الفسيولوجية من الطعام والشراب
ونحو ذلك ، وحاجاته السيكولوجية من الأمن والراحة
والتعامل الآمن مع الآخرين(الكيلاني، ماجد عرسان . الأمة
الإسلامية ، ص150 وما بعدها.)، يصعب بل يستحيل
تجاوزها ، ومن هنا حرص أصحاب القوة والقرار والنفوس
المريضة على استغلال هذين الجانبين من حياة الآدميين
(ولكن أصحاب الحق استعذبوا الكفاح وتجاوزوا خطوط
الجوع والخوف فكانت العاقبة لهم .

هذا من جانب ومن جانب آخر ، هناك مشاكل عويصة
يعيشها العالم عامة، والعالم العربي والإسلامي خاصة
(والحل الكامن المتفق عليه العودة إلى الكتاب والسنة!
ولكن كيف؟ إذ يكثر الدارسون من المنهج الوصفي والتغني
بأمجاد الماضي ، كان وكانوا وصنعوا وتجاوزوا الأزمات.
ولكن كيف؟ ما المخرج؟ تأتي هذه الدراسة المتواضعة
كمحاولة للخروج من الجانب الكمي والوصفي إلى النوعي
والكيفي لتتقدم مقاربات وتطبيقات وحلولاً عملية بعون
الله تعالى.

ثرى ما الذي ساعد هؤلاء على تجاوز مثل هذه الأزمات
القاسية؟

وما العوامل التي أسهمت في تثبيت العصبية المؤمنة
بالرغم من حالة الهجرة الكبيرة واللجوء القسري؟
هل نستطيع أن نستخلص من سيرته - صلى الله عليه
وسلم- منهاجاً لإدارة الأزمات؟

هل من الممكن الاستفادة منها في إدارة ما يمر به العالم
اليوم من أزمات تزيد ولا تنقص؟

أهداف الدراسة :

1. ترسيخ الجانب الرباني في جميع حلقات الصراع
وجميع الأزمات، وأن رب الكون هو من يدير المعركة
2. إظهار الحلول الكامنة والناجعة من سيرة الحبيب
محمد - صلى الله عليه وسلم- في مجال مواجهة
الأزمات الاقتصادية المختلفة.
3. استخلاص السنن والنواميس الربانية التي تسير جنباً
إلى جنب في إظهار الحق وإزهاق الباطل .
4. رسم لوحة بل لوحات من الأمل الواعد لأبناء هذا
الدين العظيم بأن الحق في جميع مجالاته وصراعاته
وأزماته الاقتصادية ... وغيرها، حليفه النصر والغلبة

وما بعدها).

بعدها)، قال سبحانه وتعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: 4] ، بل بلغت هذه الفضائل من كل شيء ذروتها وأوجها فإلني - صلى الله عليه وسلم- على حد تعبير مصطفى الرفاعي (الرفاعي، محمد صادق، وحي القلم، 1/ 325): " ما هو إلا معجم نفسي حي ألفتة الحكمة الإلهية بعلم من علمها وقوة من قوتها ، لتتخرج به الأمة التي تبتدع العالم إبداعاً جديداً ، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله ، ولن ترى الإنسانية أسمى من اجتماع هذه الصفات بعضها إلى بعض "

وهذه الفضائل ليست ما يتصل بالأخلاق والقيم وحسب، وإنما ما يتصل بالمهارات والخبرات والقدرات والكفايات ، وصدق الله سبحانه في قوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا). [الأحزاب : 21]. ويظهر هذا في شخصية الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم- بوضوح تام من خلال:

عمله -صلى الله عليه وسلم- في الرعي:

في الحديث الصحيح قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (البخاري ، كتاب الأضحية 9 / 488 رقم 2262): ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه : وأنت؟ قال : نعم ، كنت أراها على قراريط لأهل مكة)).

وراعي الغنم لا يعيش في قصر منيف ولا ترف ولا سرف ، إنما يعيش في جو حار شديد الحرارة ، وبخاصة في الجزيرة العربية ، ويحتاج إلى الماء الغزير ليذهب ظمأه ، وهو لا يجد إلا الخشونة في الطعام وشطف العيش ، فينبغي أن يحمل نفسه على تحمل هذه الظروف القاسية ، وبألفها ويصبر عليها (الصلاحي، السيرة النبوية ، ص 53).

وفي تحمل الداعية لآلام اليتيم أو العيش وهو في صغره، ما يجعله أكثر إحساساً بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاء بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذيين ، وأكثر عملاً لإنصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها (السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر ، ص 22).

سفره - صلى الله عليه وسلم- مع عمه أبي طالب إلى الشام:

خرج أبو طالب إلى الشام ، وألح النبي - صلى الله عليه وسلم- على عمه أن يسافر معه فلم يشأ أبو طالب أن يرد طلبه فخرج في أشياخ من قريش ، حتى أشرفوا على الراهب ببحرا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسبرون ، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إليهم .

وبينما هم يحلون رحالهم جعل يتخللهم الراهب حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمةً للعالمين....(علي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، ص 43).

وكإشارة في البحث فإن القرآن عبر عن صورة من صور الأزمة بالمصيبة في قوله تعالى : (وَتَبَيَّنَّتِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)) [البقرة : 155، 165] .

وورد استعمال الأزمة في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم-، من ذلك ما روي من أنه كان من نعم الله على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة (المستدرک علی الصحین حدیث رقم 6463 / 3 ، 666/ 3، أي قحط وجوع).

ومن استعمالات الأزمة في سيرة الحبيب - صلى الله عليه وسلم- (أبي عاصم، الأحاد والثالث، 5/ 57، 57) ، أيضاً ما ورد عن سعيد بن يسار قال : رأيت رجلاً من جهينة لم أر رجلاً قط أعظم منه ، ولا أطول منه فقال أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في أزمة أصابت الناس

وجاء معنى الأزمة بمعنى الفتنة، وما في معناها من الحيرة والإرباك والتشويش ، ففي الحديث القدسي عن الله جل جلاله، قال : "إني لأجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويفقهون لغير العبادة ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون جلود الضأن ، وقلوبهم أمر من الصبر ، في يغترون ، أو إياي يخدعون فحلفت بي لأتيحن لهم فتنة ترك الحليم فيهم حيراناً" (تحقيق حسين الدارنيق، سنن الدراري، 1 / 340 ، الاسناد صحيح).

وإن ما في الحديث من الإشارة إلى قسوة القلب وطلب الدنيا ، ما هو إلا بمثابة إشارات إنذار مبكرة تستدعي العمل لتفادي مزيداً من التراجع والانحسار.

بعد هذه الجولة القصيرة لمعنى كل من الإدارة والأزمة بقي علينا أن نعرف معنى إدارة الأزمة ؟ ويمكن تعريف إدارة الأزمة : بأنها فن إدارة السيطرة من خلال رفع كفاءة وقدرة نظام صنع القرارات (بمعنى، هناك شبكة صيد الفوائد ، دور القائد المسلم في إدارة الأزمات (ص 1)). أو هي: الاستعداد لما يحدث والتعامل مع ما حدث (العالمي، محمد علي موقع مهارات النجاح ، إدارة الأزمات ، ص 1).

وغاية الأمر أن إدارة الأزمة عملية إدارية متميزة ، لأنها تتعرض لحدث مفاجئ ، ولأنها تحتاج لتصرفات حاسمة سريعة تتفق مع تطورات الأزمة، وبالتالي يكون لإدارة الأزمة زمام المبادرة في قيادة الأحداث و التأثير عليها وتوجيهها وفقاً لمقتضيات الأمور (عشماوي، سعد الدين . إدارة الأزمة ، ص 199 ، الإمارات ، مجلة الفكر الشرطي 1996م).

المبحث الثاني: الاستعداد الذاتي عند الرسول - صلى الله عليه وسلم- في إدارة الأزمة في المجال الاقتصادي:

اكتملت في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم- الفضائل (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى 1 / 61 وما

وفي سفره - صلى الله عليه وسلم - مع عمه إلى الشام في قافلة تجارية ، فرصة سانحة ليطلع على تجارب الآخرين وخبرتهم في مجال التجارة والرياح والخسارة ، والأسفار من أوسع أبواب المعرفة وأعماقها أثراً .
والتجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، وقد تدرب النبي -

عليه الصلاة والسلام - على فنونها (الصلاحي، علي، السيرة النبوية، ص117).
كما أن تجارب الداعية بالسفر ومعاشرة الجماهير ، والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم ، لها أثر كبير في نجاح دعوته ، فمن أراد أن يصلح الأوضاع السياسية عليه أن يختلط بالسياسيين ... وهكذا (السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر ص15).
وقد تهيأت الفرصة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه المرحلة لزيارة الشام والمرور بيثرب (المدينة المنورة) على ساكنها أتم الصلاة وأزكى التسليم .
وهكذا، نال النبي - صلى الله عليه وسلم - في وقت قصير خبرة كبيرة في التجارة؛ مما كان له أعظم الأثر من بعد في توجيه أصحابه وإدارة ما طرأ من أزمات اقتصادية مرت بالمجتمع المسلم .

وصف خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم (ابن كثير، السيرة النبوية (367 / 1):

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة يقضي الليالي ذوات العدد في غار حراء حتى أكرم بنور النبوة وجاءه جبريل - عليه السلام - في لقاء مدهش عجيب ، تم عاد النبي - صلى الله عليه وسلم - من فوره إلى بيته الدافئ وزوجته الطيبة المؤمنة خديجة وهو يقول : زملوني ... زملوني ... لقد خشيت على نفسي ، لكن خديجة كانت في غاية الحكمة والاعتزان ، فقالت تعظيماً لشأنه ورفعاً لقدرة عليه الصلاة والسلام : (كلا، والله ، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)، هذا الوصف الجامع المانع يشير إلى الشخصية القيادية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فهو حريص على التواصل مع الآخرين (إنك لتصل الرحم وتقري الضيف)، وهو مبادر - صلوات الله وسلامه عليه - إلى كل خير وإلى كل فضيلة، يقف إلى جانب الفقراء والمظلومين؛ فيخفف مصابهم ويرفع الضيم عنهم ، ويكفي، هنا بعد هذا الإجمال الإشارة إلى الخصائل الآتية:

1. تحمل الكل ... الكل من الثقل والإعياء ، والمعنى أنك تتفق على الضعيف واليتيم وذا العيال (صحيح السيرة النبوية) ص50).
والكل الضعيف الذي أعجزته الأيام والليالي ، وأقعدته صروف الحياة من النهوض بحال نفسه فلم يستطع مزاحمة الضارين في الأرض سعياً وراء متطلبات الحياة ، ولم يستطع أن يقوم بضرورات عيشه إلا إذا أعانه ذو مقدرة من أهل المروءات ، وأصحاب المكارم الذين يفعلون الخير لأنهم يرونه خيراً (ابن هشام، السيرة النبوية، (1 / 171)).
2. تكسب المعدوم : تُكسب : يضم التاء وكسر السين أي تعطي وتكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيته إياه تبرعاً فحذف أحد المفعولين (ابن كثير، السيرة النبوية، (1 / 386)).

وقوفه - صلى الله عليه وسلم - إلى جانب عمه أبي طالب وكفالة علي - رضي الله عنه - :

كان من نعم الله علي بن أبي طالب ، وما أراد الله له من خير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال ، ولم يكن على ثراء من المال ، وإن كان على ثراء من الشرف والمكانة في قريش ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم : يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، أخذ من بنيه واحداً وأنت تأخذ واحداً فقال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى يذهب عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - علياً فضمه إليه (أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص231).

ومن المواقف السابقة نستخلص عناصر مهمة ظهرت في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في إدارة الظروف الطارئة من أزمات اقتصادية، ... وغيرها، منها :

1. الصبر وهو أهم الصفات التي ينبغي للقائد أن يتحلى بها .
2. الرغبة والحماسة والإيجابية .
3. الذكاء وسرعة البديهة والتفكير الإبداعي.
4. تقبل التغيير وقت الأزمات.
5. الموازنة بين البديل الأنسب والحل الأحسن.

تجارته في مال خديجة (النظر السيرة النبوية لابن هشام 1 / 171 والنظر : السباعي ، مصطفى

السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر ، ص20) :

كانت خديجة - رضي الله عنها- ذات شرف سامٍ ومالٍ

عنه قرار بالإجماع بالوقوف صفاً واحداً إلى جانبه - صلى الله عليه وسلم - حمية وطاعة لسيد بني هاشم أبي طالب وفي المقابل اجتمع الخصوم من كفار مكة وعقدوا اجتماعاً عاجلاً، خرجوا منه بقرار جائر من الدرجة الأولى وأجمعوا على تنفيذه، وصاغوه على شكل قانون يخالف كل الأعراف والقوانين والتقاليد والقيم الإنسانية .

بنود المقاطعة:

- إن أهل مكة بكاملها في علاقتهم مع بني عبد مناف وبني هاشم اتفقوا على ما يأتي (ابن هاشم، السيرة النبوية، 3 / 2):
1. لا يزوجهم، ولا يتزوجوا منهم .
 2. لا يبايعوهم، ولا يبيعون لهم، ولا يشترتون منهم .
 3. لا يجالسوهم ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم .
 4. لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً.
 5. ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقتل .

فالسبيل الوحيد ل فك هذا الحصار الاقتصادي والاجتماعي هو تسليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - حياً ليقتله زعماء الكفر في مكة، ثم علقوا بنود هذا القانون الظالم في جوف الكعبة، وأقسموا بينهم بالتهتم على الوفاء والالتزام ببنود المقاطعة. واشتدت الأزمة وبدأ تنفيذ هذا الحصار المجرم في أول ليلة من ليالي المحرم من السنة السابعة من البعثة، ودخل بنو هاشم - مؤمنهم وكافرهم - إلى شعب أبي طالب، ومعهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون، وتعاهدوا على الثبات والصبر وحماية الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفضل الصلاة وأتم التسليم .

صور من المعاناة (للبيوطي، فقه السيرة، ص 86):

1. قطع الطعام عن المحاصرين بالكلية لا يبيع ولا شراء حتى إن الطعام الذي كان يدخل إلى مكة من الخارج كان الكفار يحولون بين المسلمين وبين الذهاب لشرائه فيحرضون التجار على رفع الأسعار حتى لا يتمكن بنو هاشم والمسلمون من شراء ما يلزمهم من الطعام والشراب .
2. بلغ الجهد من المحاصرين مبلغاً عظيماً حتى كان يسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من شدة الألم والجوع .
3. وصل الأمر بالمحاصرين أن اضطروا لأكل أوراق الشجر والجلود والخشب . روي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ، قال : خرجت ليلة لأبول فسمعت ققعقة تحت البول ، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم حرقتها ورضختها وسففتها بالماء ، فقويت بها ثلاثاً (للغزالي، فقه السيرة، ص 128).

و(تكسب) المعدوم : بفتح التاء والسين، ونقل هذا الضبط القاضي عياض عن الكثيرين، والمعنى تكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم . وقيل المعنى : تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس ومكارم الأخلاق (شرح مسلم النووي 246 / 11).

3. وتعين على نوائب الحق والمعنى أنه لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكريم السمائل ، والنوائب جمع نائبة وهي الحادثة، وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشر (المرجع السابق 246 / 11) ، وقيل المعنى أنك تعين على الحوادث الجارية على الخلق بتقدير الخالق (مراجعة الفاتح شرح مشكاة المصابيح، 92)، وثمة معنى آخر لطيف أنك تعين الناس على وقوع الحوادث، وتقف من ذلك في جانب الحق، فتنصر المظلوم وتأخذ على يد الظالم، وتغيث الملهوف وتجير من استجارك (منار الفاري في شرح صحيح البخاري 40 / 1).

والإعانة على نوائب الحق فضيلة الفضائل، ومكرمة المكارم، فهي أجمع الفضائل لسائرهما، وهي أجمع موارد الخير ومصادره، وهي منقبة مناقب البر والمعروف (عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله المجلد الأول ص 50، ط 1، 1 / 3324 دار الكتب العلمية، بيروت). قال ابن حجر : وهي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم من أصول المكارم وما لم يتقدم . وجملة الأمر أن الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كان يفرج الكرب عن المكروب ومن أصابته النوائب.

المبحث الثالث : نماذج من إدارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأزمات الاقتصادية:

المطلب الأول: إدارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأزمة الحصارالاقتصادي في شعب أبي طالب:

بدأ الإسلام بالانتشار بقوة في مكة، وبدأت قوة المسلمين بالظهور خاصة بعد إسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، وأحست قريش بالخطر يدهمها من كل جانب، فشرعت في سلسلة من المفاوضات مع النبي صلى الله عليه وسلم تارة ومع عمه أبي طالب تارة أخرى، لكن هذه المفاوضات باءت بالفشل فلم يكتب لواحدة منها النجاح أمام صبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثباته على الحق أمام زيف الباطل وتهديده .

وهكذا نشبت أزمة كبيرة في مكة بين الفريقين وخشي أبو طالب - زعيم بني هاشم - أن يتعرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمكروه أمام صلف قريش وعنادها. فقام بدعوة بني عبد مناف وبني هاشم إلى اجتماع طارئ صدر

لا أقعد حتى تشق تلك الصحيفة القاطعة الظالمة .
ثم دار جدل كبير بين الرافضين لنقض الصحيفة
وعلى رأسهم أبو جهل والمتحمسين لنقضها وعلى رأسهم
هشام بن عمرو وإذا ببوادر أزمة شديدة تلوح في الأفق
بين سادات مكة .

وهنا تدخلت القدرة الإلهية، وكانت معية الله مع
عباده المؤمنين، وتحققت هذه السنة الربانية العظيمة
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)
[الروم : 47] ، فأوحى الله سبحانه إلى نبيه محمد -
صلى الله عليه وسلم- أن الأرضة (دودة الأرض) قد أكلت
الصحيفة ولم تترك منها إلا ما كان من اسم الله سبحانه،
وأخبر الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم- عمه أبا
طالب بهذا الوحي الرباني الصادق، فما كان منه إلا أن
أسرع إلى نادي قريش، وشهد الحوار الساخن بين الرجال
الخمسة وبين أبي جهل، فتدخل أبو طالب، وقال: إن ابن
أخي قال لي أو ذكر لي أن الأرضة أكلت الصحيفة خلا اسم
الله تعالى، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان
صادقاً رجعت عن قطيعتنا وظلمنا. قالوا قد أنصفت يا
أبا طالب؟ وذهبوا إلى الصحيفة في جوف الكعبة، فإذا هي
تماماً كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام
، أكلت بكاملها إلا ما كان فيها من اسم الله سبحانه. فلم
يكن ثمة خيار أمام زعماء قريش إلا نقض الصحيفة وإنهاء
الحصار الغاشم (للوطي، فقه السيرة، ص 78).

حصار شعب أبي طالب مدرسة ربانية:

كانت التربية القرآنية تسير جنباً إلى جنب مع الصحابة
الكرام، وهنا كلمات تكتب بماء العينين للشيخ محمد
الغزالي -رحمه الله- ألخصها على شكل نقاط مع شيء من
التصرف، يتساءل الشيخ ويقول (الغزالي، فقه السيرة، ص 108 وما بعدها): كم
بقيت هذه الضائقة؟ ثلاث سنين كالحمة ما الذي ثبتهم؟!
• كان الإيمان وحده هو الذي يمسك القلوب، ويصبر
على الأواء، كما أن العقيدة السائكة في القلوب
ومفهوم الأجر والثواب يوم القيامة ونعيم الجنة
كفيل باستمرار المسلمين على خطهم وثباتهم على
محتتهم وابتلائهم (المنهج الحري للسيرة النبوية، 1 / 120) .
• وكان الوحي ينزل ويطلب المسلمين باليقين والثبات
(وَإِنَّمَا نُرِيَّتْكَ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّئِكَ فَأَلْبِنَا
مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) [يونس: 46]
• سنة الله جارية ماضية في بيان استعجال المشركين
خاتمة الصراع، فهم لا يتقون لا يبعث ولا جزاء، ولا
يتصورون يوماً لا ريب فيه، وإذا بأذان التوحيد في
مكة يصدح في أرجائها، وإذا المحصورون في الشعب
هم أصحاب الأمر والنهي والسادة الحاكمون اليوم
هم أسرى يرجون العفو!!

وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً ممن أراد
صلتهم من قريش، وكان ممن يصلهم حكيم بن حزام
ابن أخي السيدة خديجة - رضي الله عنها - ، وهاشم بن
عمرو، الذي كان يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً يدخله ليلاً
إلى شعب أبي طالب (السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة النبوية، 1 / 360).

مهارات إدارة الأزمة :

وهنا امتلك الرسول - صلى الله عليه وسلم- ما يعرف
في الإدارة المعاصرة بمهارات إدارة الأزمة (إدارة الأزمة مقارنة مع التراث الأخر
ص 8 وما بعدها) ، وعلمها لأصحابه الكرام :

أولاً: التفكير السني .

ثانياً: التفكير التسخيري .

ثالثاً: عدم انتظار حدوث المعجزات والكرامات .
وسبحان الله فإن آثار فقه هذه المهارات بدأت بالظهور
ياخارج المسلمين من هذه الأزمة الخائفة، فسنة الله
جارية بأن الظلم إلى زوال وإن طال أمده، وأن سنة الله
ماضية في إزالة هذا الطغيان فيسخر ربنا سبحانه من يشاء
كيفما يشاء .

مبادرة الخروج من الأزمة :

كان المسلمون على موعد مع سنة الله -عز وجل- في
نصرة المظلوم وردع الظالم وسنة الفرج بعد الشدة
واليسر بعد العسر. كانت البداية حينما هيمن الشعور
بالألم والغصة عند أحد المشركين، وهو هشام بن عمرو
(الرحيق المخومر ص 110 وما بعدها)؛ إذ كيف يأكل ويشرب ويطيب له المقام
وجيرانه يعيشون ظروفاً صعبة من الجوع والعطش
والفقر والقافة؟! وبالتالي أخذ يقوم بنفسه بحمل ما أمكن
من الطعام والشراب إلى شعب أبي طالب .

لم يكن ما يقدمه الرجل كافياً ولا يحل المشكلة من
جذورها، فلا بد أن يبحث عن يقف إلى جانبه في هذا
المسعى الإنساني المهم فكلم زهير بن أمية من بني
مخزوم، واستثمر أمراً مهماً، وهو أن أمر زهير من بني
هاشم، وهي عاتكة بنت عبدالمطلب بن هاشم عمه
الرسول صلى الله عليه وسلم . وهكذا عمل هشام من
خلال مسارين حساسين هما :

الأول: الدوافع الفطرية والإنسانية .

الثاني: الروابط والدوافع العصبية .

ونجح هشام في إقناع زهير بن أمية المخزومي بل نجح
في إقناع ثلاثة آخرين، وهم : المطعم بن عدي، والبحتري
بن هشام، وزمعة بن الأسود، واجتمع الخمسة واتخذوا
قراراً جريئاً بالسعي الدؤوب لنقض الصحيفة .

فذهبوا إلى المسجد الحرام ونادي زهير في الناس حتى
اجتمعوا إليه، وقال: يا أهل مكة، أأكل الطعام ونليس
التياب وبنو هاشم هلكن لا يباعون ولا يبتاع منهم؟! والله

1. فروق هامة بين مكة والمدينة : فمكة تعيش في بجموحة من العيش ، آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، وترجع هذه السعة إلى عاملين رئيسين : أ- مهارة أهلها التجارية .
ب- مكانة الحرم الدينية.

كلا الأمرين درّ عليها أخلاف الخير ، حتى بطرت وشبعت وأتخمت وظن سادة مكة أن اتباعهم للنبي - صلى الله عليه وسلم-، قد يحرمهم من هذه المنافع التجارية والاقتصادية (وَقَالُوا إِن تَسْبِعِ الْهَيْدَى مَعَكَ تَسْخُطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَيِّ إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصص : 57] ، ولذلك حاول النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يقنعهم بأن قبولهم للحق لن يحرمهم هذه الأرزاق، فأبى الظالمون إلا كفورا، أما الأمر في يثرب (المدينة المنورة) فكان على النقيض :

• حروب دامية بين الأوس والخزرج ، قطعت شملهم وزرعت الشحناء بينهم .

• وهذا بالطبع أعطى الفرصة للسيطرة الاقتصادية والتجارية من قبل اليهود المتربصين بهم .

2. تنظيم الهجرة واستقبال اللاجئين الفارين بدينهم ليس أمراً هيناً ، ففي هذا العصر ، تقوم دول كبرى بتحضير موازنات مالية ضخمة لاستيعاب مثل هذا الأمر ، وقد عمل النبي - صلى الله عليه وسلم- على معالجة هذا الشأن بمنتهى الحكمة والحكمة ، فطرح شعاراً فريداً كان له الأثر في صناعة مجتمع النبيان المرصوص حينما دعا الأنصار والمهاجرين بقوله : "تأخوا في الله أخوين أخوين .." ، فامتثل الصحابة أمر النبي - صلى الله عليه وسلم- ورسموا صوراً من الأخوة والتراحم والتلاحم ما يهر الأبواب ويقترّب من الخيال ، وبهذا الصنيع الحكيم تدارك النبي - صلى الله عليه وسلم- خطراً ديمغرافياً واقتصادياً متوقفاً ، بل جعل المهاجرين الجدد عوامل تنمية واستثمار وازدهار للمجتمع المدني الجديد .

3. ووافق إبان الهجرة أن كانت المدينة المنورة موبوءة بحمى (الملاريا)، فلم تمض أيام حتى مرض أبو بكر وبلال، واستوخم الصحابة جؤ المهجر الذي أوامرهم ، واستيقظت من أول الأمر غرائز الحنين إلى الوطن المفقود .

4. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يصبر أصحابه على احتمال الشدائد، ويطالبهم بالمزيد من الجِدِّ والتضحية لنصرة الإسلام، فقال : (لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة ، ولا يدعها أحد رغبةً عنها إلا أبدل الله

فيها من هو خيرٌ منه (الطبيعي شرح المشكاة 6 / 2035)

5. توسل النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى الله سبحانه بالدعاء (اللهم حبب إلينا المدينة ، كحبنا لمكة أو

• (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ - 48 - قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ - 49 -) [يونس 48 - 49] .

وكان من نتائج هذا الحصار أمور في غاية الأهمية والنفع (الغزالي، فقه السيرة ص 109) :

1. كان الدخول في الإسلام في هذه الفترة أبعد ما يكون عن التهمة، فليس ثمة نفع ولا فائدة بل ابتلاء وتضحية وأذى .

2. فقه السابقون الداخلون إلى هذا الدين أن فقدان المنافع وهلاك المصالح الخاصة من أول ما يقفون من تضحية في سبيل عقيدتهموما من شيء يربي النفوس على التجرد كهذا التفاني في الحق ، للحق ذاته ثم إن القرآن الكريم كان صارماً في قمع المتاجرة بالعقائد ، والإثراء على حسابها والعلو في الأرض باسمها .

3. وقد أفاد الصحابة من ذلك عفة ونقاء وإخلاصاً ، لا يعرف لها في التاريخ نظير، فلما تعثرت تيجان الملوك بأقدامهم ، واستسلمت الأقطار المكتظة بالخير لجيوشهم ، كانت دوافع العقيدة تشغل بالهم فلم يكثرثوا بذهب أو فضة ... إنما عناهم أولاً وأخراً إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

4. فرصة للدعوة، فلم تشغل الألامر التي وجدوها في الشعب عن تبليغهم دعوة ربهم ، وعرضها على كل وافر ، فإن الإضطهاد لا يقتل الدعوات ، بل يزيد جذورها عمقاً وفروعها امتداداً ، وقد كسب الإسلام أنصاراً وجمّاً غيراً في هذه المرحلة !؟

5. انقسام المشركين : هذا الثبات العظيم وهذا الصمود الأسطوري للنبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ومن معه أدى إلى شرخ واضح في صف المشركين وأدى إلى انقسام ظاهر بين زعماء المشركين من أهل مكة حتى طفق بعضهم يسعى حثيثاً لإبطال ونقض الصحيفة الجائرة، أرايتم كيف استحالت المحنة إلى منح واستحال الشعب إلى مدرسة إيجابية ربانية !؟

المطلب الثاني: إدارة النبي -صلى الله عليه وسلم- للأزمة الاقتصادية بعد الهجرة النبوية:

واجه النبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه أزمة شديدة عند وصولهم إلى المدينة ، وهذا يظهر من جهات شتى

(الغزالي، فقه السيرة ص 130 وما بعدها) :

عدم الاعتماد على سوق يهود بني قينقاع، بل لا بد من الاستقلال الاقتصادي الكامل، فأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم- الصحابة الكرام بالبحث عن مكان مناسب ليقيم فيه سوقاً تجارية بإدارة مباشرة من المسلمين، بل ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم- بنفسه إلى أكثر من موضع لم يعجبه كثيرٌ منها حتى اختار مكاناً مميّزاً من حيث الموقع والمساحة، فقال: " هذا سوقكم ". وانظر إلى رواية الطبراني - رحمه الله - ، عن أبي أسيد قال: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: بآبي أنت وأمي ، إني قد رأيت موضعاً للسوق ، فلما رآه أعجبه ، ورفده برجله ، وقال : هذا سوقكم فلا ينتقصن ، ولا يضرين عليه خراج " (رواه الطبراني 8 / 9). في هذا الحديث مبدآن اقتصاديان مهمان :

الأول: (هذا سوقكم) (فلا ينتقصن) أي لا ينتقص من قيمة هذا السوق ، ولا من أرضه .

الثاني: (ولا يضرين عليه خراج) فلا يصح للحاكم أن يضع قيوداً أو ضرائب على من يتاجر في هذا السوق .

وبهذين الطريقتين تحركت عجلة الاقتصاد، وانتعشت، وانطلق التجار إلى السوق الإسلامي الجديد، وقطع الطريق على سيطرة اليهود الاقتصادية على المدينة. ومع وجود السوق الإسلامي الجديد توجه المسلمون إلى، وهجروا سوق بني قينقاع، وبدأت البضائع الموازية والجديدة تهال على السوق الجديد؛ مما أدى إلى حركة تجارية إيجابية محمودة من التنافس بين السوقيين .

وهكذا نشط السوق الإسلامي في المدينة المنورة وقويت شوكته وازداد رأس ماله وتضاعف عدد المتعاملين معه.

ثالثاً: حفز النبي - صلى الله عليه وسلم- أصحابه على الزراعة والصناعة والكسب. وهذه جملة من الأحاديث الواردة في هذا الشأن المهم :

1. قال النبي - صلى الله عليه وسلم- : " لا يغرس مسلمٌ غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة " (البتسايوري ، مسلم بن الحجاج ، ت 271 ، الجامع الصحيح باب فضل الغرس والزرع 3 - 1188 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت).

2. وعنه - صلى الله عليه وسلم- : " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" (صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في " الأدب المفرد " (479)، وفي " الصحيحة " (9) ، وكذا الشيخ شعيب في " مسند الإمام أحمد " (20 / 251) قال " إسناد صحيح).

3. وقوله - صلى الله عليه وسلم- : "والذي نفسي بيده لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره ، خيرٌ من أن تأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسألها أعطاه أو منعه" (أخرجه البخاري برقم (1470) ومسلم برقم (1042)).

ولا يغيب عن البال أن المهاجرين عند دخولهم المدينة المنورة فقهوا هذه التوجيهات النبوية وغيرها فاتجهوا إلى العمل ، ولم يعيشوا عالّة على إخوانهم الأنصار ، فاشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم بالزراعة

أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حمّاهما ، واجعلها بالجحفة) (صحيح البخاري 3 / 23 حديث رقم 1889).

وعن أبي هرّ - رضي الله عنه - ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا أوتي بأول الثمر، قال : " اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي ثمارنا ، وفي مدها ، وفي صاعنا ، بركة مع بركة، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ، ومثله معه " (ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم 3328). بهذا التشويق الحكيم والترغيب العميم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- القدوة ارتفعت الروح المعنوية عند الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وتجاوزوا هذه الأزمة بسلام .

وحينما وصل النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة، عمل على تحقيق الاستقلال الاقتصادي بعيداً عن أي تبعية من هنا أو هناك. وبعد دراسة فاحصة لواقع المدينة الاقتصادي اعترضت النبي - صلى الله عليه وسلم- العقبات الآتية (السرّاجي، رابع، قصة المدينة ، ص 19):

- اقتصاد المدينة المنورة غالب خيوطه بأيدي اليهود .
- السوق الرئيس والمركزي في المدينة، هو سوق يهود بني قينقاع، ومعظم التجار من الأنصار وغيرهم يتعاملون مع هذا السوق.
- والأخطر من هذا كله الأمن (المائي)؛ إذ إن معظم الآبار يحكمها اليهود وأشهرها بئر رومة.

التدابير النبوية الحكيمة في حلّ الإشكالات الاقتصادية السابقة؛ ولنبدأ بأخطرها الأمن المائي:

أولاً: الأمن المائي:

عمل النبي - صلى الله عليه وسلم- على شراء البئر الرئيسة في المدينة، وهو بئر رومة. وأخذ يشجع أصحابه على شراء هذا البئر الاستراتيجي؛ فقد روى أحمد والنسائي عن الأحنف بن قيس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (من يبتاع بئر رومة ، غفر الله له)، وكان مملوكاً لأحد تجار اليهود ، فسبق إلى ذلك عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فاشترها، ثم ذهب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقال له: (ابتعتها بكذا وبكذا فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك . فقال: اللهم نعم) (سنن الدار قطني ص 434) . بهذه الخطوة المهمة تحقق الأمن المائي لأمة الحبيب - صلى الله عليه وسلم- في المدينة المنورة .

ثانياً: السوق الإسلامي المستقل الحر؛ ويبرز هذا من خلال الأمور الآتية :

-القناعة التامة عند الرسول-صلى الله عليه وسلم- بضرورة

، وفيها حكمة هذا التفاوت في الفرض والعطاء ، فقال: (أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم ، في لعاة اللعاعة

هي نبئت ناعمر في أول ما بينت والمعنى أن الدنيا كالبساتين الأخضر قبل البقاء ، لسان العرب لابن منظور مجلد 12 ص 290

الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكنتكم إلى إسلامكم) ، ثم قال كلمة لم يتملكوا أمامها ، ومن أن تفجر الإيمان والحنان في نفوسهم ، قال (ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحلكم؟ فوالذي نفس محمد بيده ، ما تتقبلون به خير مما يتقبلون به ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ووادياً و سلك الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار ووادياً ، الناس شعار والأنصار دثار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . وبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم ، وقالوا (رضينا برسول الله قسماً وحظاً) (انظر صحیح السيرة النبوية ص 455 - 456) ، بعد هذا الموقف المؤثر ، من الممكن أن نستخلص جملة من المهارات القيادية المهمة في إدارة الأزمة :

1. جمع المعلومات الدقيقة حول الأزمة الجديدة ، وتشخيص المشكلة من جميع جوانبها ، ومدى تأثيرها على الصف المسلم .
2. المبادرة السريعة والفورية لحل الأزمة دون تأخير أو تسويق أو تأجيل أو ترحيل ، رغبة منه - صلى الله عليه وسلم - في حصرها وعدم السماح بتفاقمها .
3. تعامل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الأزمة بشجاعة وموضوعية وصرامة ووضوح ورباطة جأش دون تردد أو غضب .
4. كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في غاية الحكمة والحكمة حين حدد الفئة المعنية بالأزمة من الأنصار ، فاجتمع بهم دون غيرهم .
5. تقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - النقد برحابة صدر وسعة أفق وإيجابية متناهية . إن الخطاب اللطيف والوعظ المؤثر والاعتراف بالجميل ومكافأة المحسن والثناء على من يستحق ، كل هذه العناصر ظهرت في خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الأنصار؛ مما كان له أعظم الأثر في نزع فتيل الأزمة وقطع وسواس الشيطان ورأب الصدع وجبر الخواطر .
6. حرص القائد الحبيب - صلى الله عليه وسلم - على التأكيد والتجديد للهدف الأكبر الذي ينبغي أن تهرع إليه النفوس وتشرّب إليه الأعناق ، وهو نبيل رضوان الله تعالى والظفر بجنات النعيم .
7. وهكذا انتهت الأزمة واستحالت المحنة إلى منحة ، والحزن والكآبة إلى سرور وفرح ، والإعراض والسلبية إلى إيجاب وقبول تام؟!

والحمد لله رب العالمين

في حقول الأنصار وبساتينهم ، مقابل نيلهم شطراً من المحصولات، وما أجمع وما أدل وصف عائشة - رضي الله عنها - عندما قالت : " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم " (الحديث مرقوقوف ورقمه 1939 صحیح البخاري

كتاب البوع باب كسب الرجل وعمله بيده) .

رابعاً: أعلن النبي - صلى الله عليه وسلم - الحرب على الفساد المالي بكل صوره وأشكاله؛ ولا ريب أن هذه التوجيهات آتت أكملها، فأسهمت في ضبط الاتفاق وسلامة الإجراءات ؛ مما أدى إلى مزيد من إقبال أصحاب رؤوس المال و استقطاب الراغبين في الاستثمار وصولاً إلى تجاوز الأزمة الاقتصادية (الرشوة ، والسرقة ، والإسراف والتبذير ، والتهرّب من الزكاة وغير ذلك) .

- ففي سياق تحريم الرشوة وهي: ما يعطيه الشخص الحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد وهي من كبائر الذنوب ، فقد روي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما " (الحديث صحیح رواه ابو داود (3582) والتهرمذي (337) وابن ماجه (2313) وغيره) ، وحذر الحبيب - صلى الله عليه وسلم - أشد التحذير من إيذاء المسلم إخوانه من المسلمين ، في حديث جامع مانع " كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه " (أخرجه مسلم رقم (2564) .

المطلب الثالث : أزمة توزيع غنائم غزوة حنين

جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري

ومسلم (انظر صحیح البخاري، المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم 4330 ، وانظر صحیح مسلم في الزكاة باب أعطاه المولفة قلوبهم حديث رقم 1061 ، وانظر مسند أحمد 4 / 42) : لما أصاب رسول الله الغنائم يوم حنين ، وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار شيء منها ، قليل ولا كثير ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلمهم : لقي والله رسول الله قومه . فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم! قال : فيم ؟ قال : في ما كان من قسمة هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فخرج رسول الله ، فقام فيهم خطيباً... (ألم أتكم ضلالاً ، فهذاكم بي ، وعالة فأغناكم الله بي ، وأعداء فألف بين قلوبكم؟! قالوا : الله ورسوله أمن وأفضل ولما سكتوا ، قال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟! قالوا بمر نجيبك يا رسول الله ؟ لله وللرسول المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتهم ، ولصدقتهم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعاتلاً فواسيناك) . ثم انعطف عليهم بكلمة فيها الثقة ، وفيها العدالة

- الخاتمة نسأل الله حسنها : أستطيع بتوفيق الله بعد هذا السير المشوق في هذا البحث الوجيز أن أستخلص جملة من النتائج:
1. إدارة الأزمة عملية إدارية متميزة توجه الأحداث إيجابياً.
 2. الاستعداد الذاتي الكامن في شخصية القائد منطلق مهم يمكن توظيفه والإفادة منه في الإدارة عامة، وإدارة الأزمات على وجه الخصوص.
 3. الجانب الكسبي القائد في إدارة الأزمة يكون بالتعلم ودراسة نماذج القادة العظام، وعلى رأسهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- في سيرته النبوية المطهرة.
 4. معرفة السنن والنواميس وطبائع النفوس مقدمات مهمة جداً في حسن إدارة أزمة طارئة .
 5. إن الأزمة أو المصيبة أو المنحة في الفكر الإسلامي تستجيب خيراً عميماً ومنحة ظاهرة وأرباحها حقيقية، إن أفلح ألو الأمر، والشأن في فهم النواميس والسنن التي تحكمها واستشرافها .
- وأما التوصيات فأراني منساقاً نحو توصيتين اثنتين :**
- الأولى:** لا بد من إيلاء هذا العلم علم إدارة الأزمات الأهمية الكافية خاصة في ظل ما تعيشه البشرية اليوم من إحن ومحن، ولعله من الواجبات التي ينبغي أن يضطلع بها ثلثة من أهل الفكر والعلم .
- الثانية:** القرآن العظيم فيه الشفاء التام والتريق الكافي لأدواء البشرية اليوم ، والسيرة النبوية زاخرة بالنماذج الراقية ، التي من شأنها، إن أحسن دراستها وتحليلها، أن تقدم حلولاً عملية ناجعة .
- المراجع العربية:**
1. الشيباني، محمد بن عمرو."الأحاد والمثاني"، ط 1411 هـ ، دار الراجية ، الرياض 1 .
 2. الكيلاني، عبدالله إبراهيم."إدارة الأزمة مقارنة مع التراث الآخر"، كتاب الأمة عدد (13) .
 3. الكيلاني، ماجد عرسان.1427هـ،"الأمة"، ط 1، دار الفرقان . عمان ، الأردن .
 4. المقريزي، محمد بن عبدالحميد. 1420 هـ ،"إمتاع الأسماع"، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت .
 5. المبارك فوري، صفي الدين. 1994م."الرحيق المختوم"، ط4 دار الفحاء ، دمشق .
 6. القزويني، محمد بن يزيد."سنن ابن ماجه: ط دار أحياء الكتب العربية .
 7. البغدادي، أبو الحسن علي، 1424هـ،"سنن الدار قطني" ، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت .
 8. السباعي، مصطفى. 1428 هـ ،"السيرة النبوية دروس وعبر"، ط 3 ، دار القلم بيروت .
 9. الصلاي، علي."السيرة النبوية عرض وقائع"، ط 1 1428 هـ ، دار النشر مصر ، مصر .
 10. الندوي، علي أبو الحسن ابن عبدالحى1425هـ"السيرة النبوية"، ط12 . دار ابن كثير ، دمشق .
 11. أبو شهبة، محمد محمد ،1423هـ"السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة"، ط 8 . دار القلم ، بيروت.
 12. الطيبي، شرف الدين الحسين، 1417 هـ ، "شرح المشكاة" ، ط1، مكتبة نزار الرياض .
 13. مسلم بن الحجاج ،"شرح النووي على صحيح مسلم" ط دار الكتب العلمية، بيروت 13.
 14. اليحصبي، القاضي عياض ابن موسى الشفا ، "تعريف حقوق المصطفى"، ط 1 دار الأرقم / بيروت.
 15. الجوهري، إسماعيل بن حماد. 1420 هـ "الصحاح تاج اللغة" ط 1 دار الكتب العلمية ، بيروت .
 16. البخاري، محمد بن إسماعيل، 1407 هـ "صحيح البخاري"، ط3، دار ابن كثير / بيروت .
 17. العلي، إبراهيم، 1415 هـ ،" صحيح السيرة النبوية"، ط1، دار النفائس، عمان.
 18. مسلم بن الحجاج،"صحيح مسلم"، ط 1 إحياء التراث العربي، بيروت.
 19. العسقلاني، أحمد بن حجر."فتح الباري في شرح صحيح البخاري" ط 1.
 20. الغزالي ، محمد. 1421 هـ ،"فقه السيرة"، ط6، دار الدعوة ، مصر .
 21. البوطي، محمد رمضان، 1417 هـ ،"فقه السيرة"، ط 11، دار الفكر ، دمشق.
 22. الكشميري، محمد بن أنور شاه ، 1426 هـ ،"فيض الباري على صحيح البخاري"، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت .
 23. السرجاني، راغب."قصة المدينة" ، مخطوط مصر .
 24. محمد ابن منظور، 1419 هـ ،"لسان العرب" ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
 25. عرجون، محمد الصادق محمد رسول الله ، 1415 هـ، ط 2 دار القلم، بيروت .
 26. السرجاني ، راغب."المرحلة المكية مجموعة مقالات"، مخطوط ، مصر .
 27. الحاكم، أبو عبدالله ، 1990 م ، "المستدرک علی الصحیحین"، تحقیق مصطفی عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت.
 28. الطبراني، سليمان بن أحمد، "معجم الطبراني"، ط1، الموسوعة الشاملة .
 29. ابن فارس، أبو الحسين أحمد1400 هـ ،"معجم مقاييس اللغة" ، ط3 مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر .
 30. الغضبان، منير محمد،"المنهج الحرکي للسيرة النبوية"، ط 1 ،مكتبة المنار، الزرقاء .

31. الرفاعي، صادق ، 1422 هـ ، "وحي القلم مصطفى"
ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.